سلسلة

فوائد من تفسير القرآن العظيم

[سورة الكهف]

مستقاة من كتاب (تفسير القرآن الكريم)

للشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين

ط / دار ابن الجوزي

جمع واختيار

منى الشمري

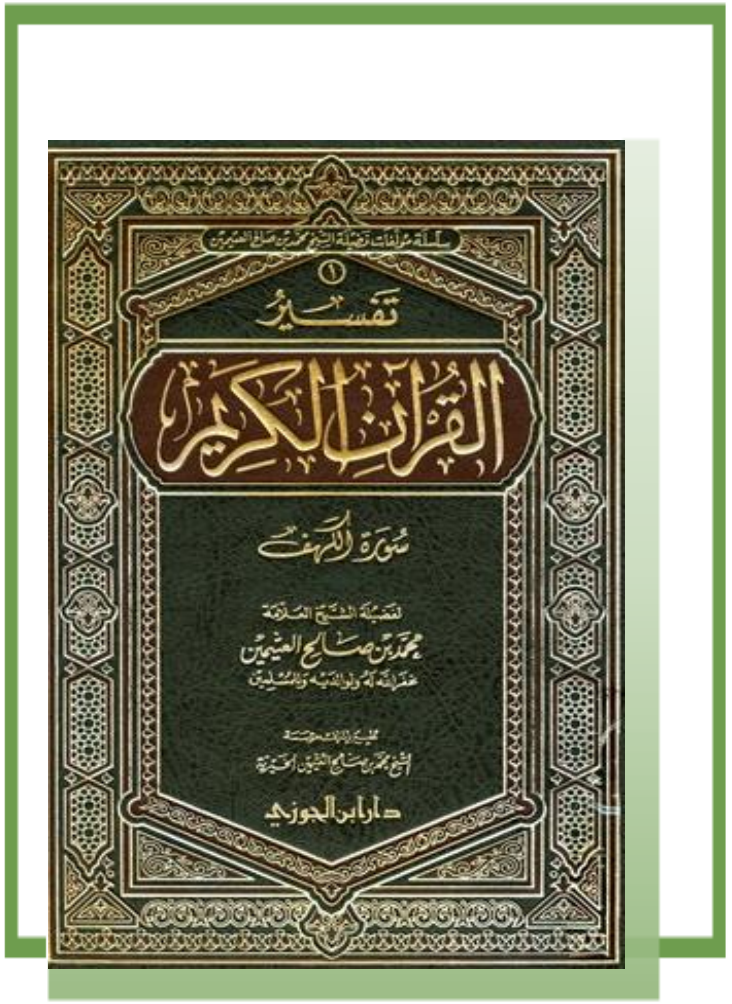

١

سورة الكهف مكيَّة
واستثنى بعض المفسرين بعض الآيات: أولها (١ - ٨)، وآية رقم (٢٨) ومن (١٠٧ - ١١٠) على أنها مدنية،
ولكن هذا الاستثناء يحتاج إلى دليل؛
لأن الأصل أن السُّور المكيَّة مكيَّةٌ كلها وأن المدنيَّة مدنيَّةٌ كُلُّها،
فإذا رأيت استثناءً فلا بد من دليل.

والمَكِّي ما نزل قبل الهجرة والمدنِيُّ ما نزَل بعد الهجرة
حتى وإن نزل بغير المدينة مثل قوله تعالى:
(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْأِسْلامَ دِيناً) (المائدة: الآية ٣)
فقد نزلت بعرفة عام حجة الوداع.

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا} الكهف :١

قوله تعالى (الْحَمْدُ) هو وصفُ المحمود بالكمال محبة وتعظيماً،
وبقولنا محبةً وتعظيماً خرج المدح؛
لأن المدح لا يستلزم المحبة والتعظيم،
بل قد يمدح الإنسان شخصاً لا يساوي فلساً
ولكن لرجاء منفعة أو دفع مضرة،
أما الحمد فإنه وصف بالكمال مع المحبة والتعظيم.

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا} الكهف :١

(عَبْدِه) يعني مُحَمَّداً صلى اللّه عليه وسلم، وَصَفَهُ تعالى بالعبودية؛
لأنه أَعبدُ البَشَر للّه. وقد وصفَه تعالى بالعبودية في حالات ثلاث:
١ - حال إنزال القرآن عليه كما في هذه الآية.
٢ - في حال الدفاعِ عنهُ صلى اللّه عليه وسلم، قال تعالى:
(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (البقرة: ٢٣)
٣ - وفي حال الإسراء به، قال تعالى:
(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الاسراء: ١)
يعني في أشرف مقاماتِ النبي صلى اللّه عليه وسلم وصفهُ اللّه بأنه عبدٌ، ونِعمَ الوصفُ أن يكون الإنسانُ عبداً للّه

{وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا} الكهف: ٢

متى يكون العمل صالحاً؟

الجواب: لا يمكن أن يكون صالحاً إلّا إذا تضمن شيئين:
١ - الإخلاص للّه تعالى: بإلّا يقصد الإنسان في عمله سوى وجه اللّه والدار الآخرة.
٢ - المتابعة لشريعة اللّه: ألاّ يخرج عن شريعة اللّه سواء شريعة محمد صلى اللّه عليه وسلم أو غيره.
ومن المعلوم أن الشرائع بعد بِعثة الرسول صلى اللّه عليه وسلم كلها منسوخة بشريعته صلى اللّه عليه وسلم.

{وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا} الكهف: ٢

وضد الإخلاص: الشرك، والاتباع ضد الابتداع،
إذاً البدعة لا تقبل مهما ازدانت في قلب صاحبها ومهما كان فيها من الخشوع ومهما كان فيها من ترقيق القلب
لأنها ليست موافقة للشرع؛ ولهذا نقول: كُل بدعة مهما استحسنها مبتدعها فإنها غير مقبولة،
بل هي ضلالة كما قاله النبي صلى اللّه عليه وسلم،
فمن عمل عملاً على وفق الشريعة ظاهراً لكن القلب فيه رياء فإنه لا يقبل لفقد الإخلاص،
ومن عمل عملاً خالصاً على غير وفق الشريعة فإنه لا يقبل،
إذاً لا بد من أمرين: إخلاصٍ للّه، واتباعٍ لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وإلّاَ لم يكن صالحاً

{وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا} الكهف: ٢

سمّى الله عز وجل ثواب الأعمال أجراً لأنها في مقابلة العمل،
وهذا من عدله جلَّ وعلا أن يسمي الثواب الذي يثيب به الطائعَ أجراً
حتى يطمئن الإنسان لضمان هذا الثواب؛
لأنه معروف أن الأجير إذا قام بعمله فإنه يستحق الأجر.

{مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً} الكهف: ٣

اعلم أن من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الجنَّة موجودة الآن وأنها مؤبدة، وأن النار موجودة الآن وأنها مؤبدة، وقد جاء هذا في القرآن، فآيات التأبيد بالنسبة لأصحاب اليمين كثيرة، أما بالنسبة لأصحاب الشمال فقد ذُكر التأبيد في آيات ثلاث:

١ - في سورة النساء، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً) (النساء: ١٦٨) إِلاّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً) (النساء: ١٦٩)

٢ - في سورة الأحزاب، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً) (الأحزاب: ٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً) (الأحزاب: ٦٥)

٣ - في سورة الجن في قوله تعالى: (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً) (الجن: الآية ٢٣)

{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً} الكهف: ٦

من المعلوم أن الإنسان المؤمن يحزن إذا لم يستجبِ الناس للحق، لكنَّ الحازنَ إذا لم يقبل الناس الحق على نوعين:

١ - نوع يحزن لأنه لم يُقبل.

٢ - ونوع يحزن لأن الحق لم يُقبل.

والثاني هو الممدوح لأن الأول إذا دعا فإنما يدعو لنفسه، والثاني إذا دعا فإنما يدعو إلى الله عز وجل، ولهذا قال تعالى: (أدع الى سبيل ربك) (النحل: ١٢٥.

لكن إذا قال الإنسان أنا أحزن؛ لأنه لم يُقبل قولي؛ لأنه الحق ولذلك لو تبين لي الحق على خلاف قولي أخذت به فهل يكون محموداً أو يكونُ غير محمود؟

الجواب: يكون محمِوداً لكنه ليسِ كالآخرِ الذي ليس له همٌّ إلاّ قَبول الحق سَواء جاء من قِبلَه أو جاء من قبل غيره.

{إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} الكهف: ٧

إذا تأملت القرآن تجد أنه غالباً يقدم الشرع على الخلق،
قال الله تعالى: (الرحمن (١) علم القرآن (٢) خلق الإنسان (٣) (الرحمن)،
وتأمل الآيات في هذا المعنى تجد أن الله يبدأ بالشرائع قبل ذكر الخلق وما يتعلق به؛
لأن المخلوقات إنما سُخّرت للقيام بطاعة الله عز وجل،
قال الله تبارك وتعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّآ لِيَعْبُدُونِ) (الذريات: ٥٦)،
وقال (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً) (البقرة: الآية ٢٩)
إذاً المهم القيام بطاعة الله، وتأمل هذه النكتة حتى يتبين لك أن أصل الدنيا وإيجاد الدنيا،
إنما هو للقيام بشريعة الله عز وجل.

{إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} الكهف: ٧

تأمل قوله تعالى: (أَحْسَنُ عَمَلاً) ولم يقل: "أكثر عملاً"؛
لأن العبرة بالأحسن لا بالأكثر،
وعلى هذا لو صلى الإنسان أربع ركعات لكنْ على يقين ضعيف أو على إخلال باتباع الشرع،
وصلى آخر ركعتين بيقين قوي ومتابعة قوية فأيهما أحسن؟
الثاني؛ بلا شك أحسن وأفضل،
لأن العبرة بإحسان العمل وإتقانه إخلاصاً ومتابعة.

{أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً} الكهف: ٩

(عَجَبا) أي محل تعجُّب واستغراب لأن هؤلاء سبعةٌ معهم كلب كرهوا ما عليه أهل بلدهم من الشرك
فخرجوا متَّجهين إلى اللّه يريدون أن ينجوا بأنفسهم مما كان عليه أهل بلدهم،
فلجأوا إلى هذا الغار، وكان من حسن حظهم أن هذا الغار له باب لا يتَّجه للمشرق ولا للمغرب،
سبحان اللّه! توفيق؛
لأنه لو اتجه إلى المشرق لأكلتهم الشمس عند الشروق،
ولو اتجه إلى المغرب لأكلتهم عند الغروب.

{فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً} الكهف: ١١

قوله تعالى: (فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ) أي أنمناهم نومة عميقة. والنوم نوعان:

١ - خفيف: وهذا لا يمنع السماع ولهذا إذا نمت فأول ما يأتيك النوم تسمع مَن حولك.

٢ - عميق: إذا نمت النوم العميق لا تسمع مَن حولك.

ولهذا قال: (فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ) أي بحيث لا يسمعون.

{ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً} الكهف: ١٣

وقوله: (بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ)، قد يقع فيه إشكال؟ هو: هل اللّه عز وجل لا يعلم قبل ذلك؟
الجواب: لا، واعلم أن هذه العبارة يراد بها شيئان:

١ - علم رؤية وظهور ومشاهدة، أي لنرى، ومعلوم أن علم ما سيكون ليس كعلم ما كان؛ لأن علم اللّه عز وجل بالشيء قبل وقوعه علمٌ بأنه سيقع، ولكن بعد وقوعه علمٌ بأنه وقع.

٢ - أن العلم الذي يترتب عليه الجزاء هو المراد، أي لنعلم علماً يترتب عليه الجزاء وذلك كقوله تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ) (محمد: الآية ٣١). قبل أن يبتلينا قد علم من هو المطيع ومن هو العاصي، ولكن هذا لا يترتب عليه لَا الجزاء ولا الثواب، فصار المعنى لنعلم علم ظهور ومشاهدة وليس علم الظهور والمشاهدة كعلم ما سيكون، والثاني علماً يترتب عليه الجزاء.

{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً} الكهف: ١٣

(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ) قصُّ اللّه عز وجل أكمل القصص وأحسن القصص؛ لأنه صادر عن:

١ - علم.

٢ - عن صدق.

٣ - صادر بأفصح عبارة وأبينها وأوضحها ولا كلامَ أوضح من كلام اللّه، إلّاّ من أضل اللّه قلبه وقال: هذا أساطير الأولين.

٤ - وبأحسن إرادة لم يرد اللّه تعالى بما يقص علينا أن نضل ولا بما حكم علينا أن نجور، بل أراد أن نهتدي ونقوم بالعدل.

{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً} الكهف: ١٣

وقوله: (نَحْنُ) إذا قال قائل أليس اللّه واحداً؟

فالجواب: نعم واحد لا شك، لكن لا شك أنه جلَّ وعلا أعظم العظماء،
والأسلوب العربي إذا أسند الواحدُ إلى نفسه صيغة الجمع فهو يعني أنه عظيم،
ومعلوم أنه لا أحد أعظم من اللّه تعالى؛
ولهذا تجد الملوك أو الرؤساء إذا أرادوا أن يُصدروا المراسم يقولون:
"نحن فلان بن فلان نأمر بكذا وكذا".
إذاً كل ضمائر الجمع المنسوبة إلى اللّه تعالى المراد بها التعظيم.

{وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ} الكهف: ١٧

وفي قوله تعالى: (إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ) (وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُم) دليل على أن الشمس هي التي تتحرك وهي التي بتحركها يكون الطلوع والغروب خلافاً لما يقوله الناس اليوم من أن الذي يدور هو الأرض، وأما الشمس فهي ثابتة، فنحن لدينا شيء من كلام الله، الواجب علينا أن نجريه على ظاهره وألا نتزحزح عن هذا الظاهر إلاّ بدليل بيّن، فإذا ثبت لدينا بالدليل القاطع أن اختلاف الليل والنهار بسبب دوران الأرض فحينئذ يجب أن نؤول الآيات إلى المعنى المطابق للواقع، فنقول: إذا طلعت في رأي العين وإذا غربت في رأي العين، تزاور في رأي العين، تقرض في رأي العين، أما قبل أن يتبين لنا بالدليل القاطع أن الشمس ثابتة والأرض هي التي تدور وبدورانها يختلف الليل والنهار فإننا لا نقبل هذا أبداً، علينا أن نقول: إنَّ الشمس هي التي بدورانها يكون الليل والنهار، لأن الله أضاف الأفعال إليها والنبي صلى الله عليه وسلم حينما غربت الشمس قال لأبي ذر: "أتدري أين تذهب؟ " (١) فأسند الذَّهاب إليها، ونحن نعلم علم اليقين أن الله تعالى أعلم بخلقه ولا نقبل حدْساً ولا ظناً، ولكن لو تيقنا يقيناً أن الشمس ثابتة في مكانها وأن الأرض تدور حولها، ويكون الليل والنهار، فحينئذ تأويل الآيات واجب حتى لا يخالف القرآن الشيء المقطوع به

{وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ} الكهف: ١٨

(وَنُقَلِّبُهُم) فيه دليل على أن فعل النائم لا ينسب إليه، ووجه الدلالة أن الله أضاف تقلبهم إليه،
فلو أنّ النائم قال في نومه: "امرأتي طالق" أو "في ذمتي لفلان ألف ريال" لم يثبت لأنه لا قصد له ولا إرادة له؛
لا في القول؛ ولا في الفعل، والحكمة من تقليبهم ذات اليمين وذات الشمال:
بعض العلماء قال لئلّا تأكل الأرض الجانب الذي يكون ملاصقاً لها،
ولكن الصحيح أن الحكمة ليست هذه، الحكمة من أجل توازنِ الدم في الجسد لأن الدم يسير في الجسد،
فإذا كان في جانب واحد أوشك أن ينحرِم منه الجانب الأعلى،
ولكن الله بحكمته جعلهم يتقلبون.

{فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ} الكهف: ١٩

جواز التوكيل في الشراء، والتوكيل في الشراء جائز، وفي البيع جائز أيضاً،
فإن الرسول وكَّل أحد أصحابه أن يشتري له أضحية وأعطاه ديناراً، وقال: اشتر أضحية،
فاشترى شاتين بالدينار ثم باع إحداهما بدينار فرجع بشاة ودينار، فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم أن يبارك الله له في بيعه، فكان لو اشترى تراباً لربح فيه
وقد أخذ العلماء من هذا الحديث أنه يجوز تصرف الفضولي،
أي يجوز للإنسان أن يتصرف بمال غيره إذا علم أن غيره يرضى بذلك،
فهؤلاء وكلوا أحدهم أن يذهب إلى المدينة ويأتي برزق.

{فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ} الكهف: ١٩

في هذا أيضاً دليل أنه لا بأس على الإنسان أن يطلب أطيب الطعام
لقولهم (فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً)
فيه دليل أيضاً على ضعف قول الفقهاء: إنه لا يصح الوصف بالأفعل،
أي لا يجوز أن أصف المبيع بأنه أطيب كل شيء، فلا تقول: "أبيع عليك برًّا أفضل ما يكون"
لأنه ما من طَيِّب إلاّ وفوقه أطيب منه، ولكن يقال: هذا يرجع إلى العرف،
فأطيب: يعني في ذلك الوقت وفي ذلك المكان، وهل من السنّة ما يشهد لطلب الأزكى من الطعام؟ نعم،
وذلك أن النبي صلى اللّه عليه وسلم أقرَّ الصحابة الذين باعوا التمرِ الرديء بتمر جيد ليطعم النبي صلى اللّه عليه وسلم منه،
ولم ينههم عن هذا، وما قال: هذا تَرفُّه، اتركوا طلب الأطيب،
فالإنسان قد فتح اللّه له في أن يختار الأطيب من الطعام أو الشراب أو المساكن أو الثياب أو المراكب،
ما دام اللّه قد أعطاه القدرة على ذلك فلا يُلام.

{قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا} الكهف: ٢١

هذا الفعل، اتخاذ المساجد على القبور، من وسائل الشرك
وقد جاءت شريعتنا بمحاربته
حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في سياق الموت:
"لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يُحذِّر ما صنعوا"

{سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ} الكهف: ٢٢

(سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ) ولم يقل: رجماً بالغيب، بل سكت، وهذا يدل على أن عددهم سبعة وثامنهم كلبهم، لأن الله عندما أبطل القولين الأولين، وسكت عن الثالث صار الثالث صواباً،

نظيره قول الله تبارك وتعالى في المشركين إذا فعلوا فاحشة: (واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا) هذا واحد، (والله أمرنا بها) هذا اثنان، قال الله تعالى: (قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون) (الأعراف: ٢٨)، فأبطل قولهم: (والله أمرنا بها) وسكت عن الأول؛ فدل على أن الأول: (وجدنا عليها اباءنا) صحيح، وهنا لما قال: (رَجْماً بِالْغَيْبِ) في القولين الأولين، وسكت عن الثالث دل على أنهم سبعة وثامنهم كلبهم.

{فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا} الكهف: ٢٢

يعني إلَاّ مراءً على اللسان لا يصل إلى القلب، ويؤخذ من هذا أن ما لا فائدة للجدال فيه لا ينبغي للإنسان أن يتعب قلبه في الجدال به، وهذا يقع كثيراً؛ أحياناً يحتمي بعض الناس إذا جودل في شيء لا فائدة فيه، فنقول: "يا أخي لا تتعب، اجعل جدالك ظاهراً على اللسان فقط لا يصل إلى القلب فتحتمي وتغضب"،
وهذا يدل على أن ما لا خير فيه فلا ينبغي التعمق فيه، وهذا كثير، وأكثر ما يوجد في علم الكلام، فإن علماء الكلام الذين خاضوا في التوحيد وفي العقيدة يأتون بأشياء لا فائدة منها، مثل قولهم: "تسلسل الحوادث في الأزل وفي المستقبل" وما شابه ذلك من الكلام الفارغ الذي لا داعيَ له، وهم يكتبون الصفحات في تحرير هذه المسألة نفياً أو إثباتاً مع أنه لا طائل تحتها، فالشيء الذي ليس فيه فائدة لا تتعب نفسك فيه،
وإذا رأيت من صاحبك المجادلة فقل له: "تأمل الموضوع" وسدَّ الباب.

{وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً} الكهف: ٢٣

إلَاّ قولاً مقروناً بمشيئة اللّه، فقرْنُ ذلك بمشيئة اللّه يستفيد منه الإنسان فائدتين عظيمتين:

إحداهما: أن اللّه ييسر الأمر له حيث فوضه إليه جلَّ وعلا.

والثانية: إن لم يفعل لم يحنث.

{وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً} الكهف: ٢٥

(ثَلاثَ مائَةٍ) تكتب اصطلاحاً ثلاثمائة مربوطة:
ثلاثَ مربوطة بمائة، وتكتب مائة بالألف،
لكن هذه الألف لا يُنطَق بها،
وبعضهم يكتب ثلاث وحدها ومئة وحدها،
وهذه قاعدة صحيحة.

{وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً} الكهف: ٢٥

إن القول بأن "ثلاث مائة سنين" شمسية، "وازدادوا تسعاً" قمرية قول ضعيف.

أولاً: لا يمكن أن نشهد على اللّه أنه أراد هذا.

ثانياً: أن عدة الشهور والسنوات عند اللّه بالأهلة،
قال تعالى: (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) (يونس: ٥)
وقال تعالى (يسئلونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج) (البقرة: ١٨٩).

{لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا } الكهف: ٢٦

من ادعى علم الغيب فهو كافر، والمراد بالغيب المستقبل، أما الموجود أو الماضي فمن ادعى علمهما فليس بكافر؛
لأن هذا الشيء قد حصل وعلمه من علمه من الناس، لكن غيب المستقبل لا يكون إلاّ لله وحده،
ولهذا من أتى كاهناً يخبره عن المستقبل وصدَّقه فهو كافر بالله عز وجل؛
لأنه مكذب لقوله تعالى: (قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ) (النمل: الآية ٦٥)
أما ما كان واقعاً؛ فإنه من المعلوم أنه غيب بالنسبة لقوم وشهادة بالنسبة لآخرين.

{أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا} الكهف: ٢٦

الإيمان بأن اللّٰه تعالى ذو بصر نافذ لا يغيب عنه شيء وذو سمع ثاقب لا يخفى عليه شيء،
والإيمان بذلك يقتضي للإنسان ألا يُري ربَّه ما يكرهه ولا يُسمعه ما يكرهه؛
لأنك إن عملت أي عمل رآه وإن قلت أي قول سمعه، وهذا يوجب أن تخشى اللّٰه عز وجل
وألا تفعل فعلاً يكرهه ولا تقول قولاً يكرهه اللّٰه عز وجل، لكن الإيمان ضعيف،
فتجد الإنسان عندما يريد أن يقول أو أن يفعل؛ لا يخطر بباله أن اللّٰه يسمعه أو يراه إلّا إذا نُبِّه،
والغفلة كثيرة، فيجب علينا جميعاً أن ننتبه لهذه القضية العظيمة.

{أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا} الكهف: ٢٦

واللّه ولي كُلِّ أحد ، وهذه هي الولاية العامة، أليس اللّه تعالى يرزق الكافرين وينمي أجسامهم وييسر لهم ما في السموات والأرض، وسخر الشمس والقمر والنجوم والأمطار؟! هذه ولاية،

ويتولى المؤمنين أيضاً بذلك؛ لكن هذه ولاية عامة.

أما الولاية الخاصة، فهي للمؤمنين. قال تعالى:

(اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ) (البقرة: الآية ٢٥٧)،

والولاية الخاصة تستلزم عناية خاصة، أن اللّه يسدد العبد فيفتح له أبواب العلم النافع والعمل الصالح، ولهذا قال: (يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ). يخرجهم بالعلم، فيعلمهم أولاً ويخرجهم ثانياً بالتوفيق.

{أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا} الكهف: ٢٦

(وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِه أَحَداً) والحكم كوني وشرعي، فالخلق والتدبير حكم كوني،
والحكم بين الناس بالأوامر والنواهي حكم شرعي، وقوله: (وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِه أَحَدا) يشمل النوعين.
فلا أحد يشرك الله في حكمه لا الكوني ولا الشرعي، وفيه دليل على وجوب الرجوع إلى حكم الله الشرعي،
وأنه ليس لنا أن نُشَرِّع في دين الله ما ليس منه، لا في العبادات ولا في المعاملات،
وأما من قال: إن لنا أن نُشَرِّع في المعاملات ما يناسب الوقت، فهذا قول باطل:
لأنه على قولهم لنا أن نجوز الربا ولنا أن نجوز الميسر وأن نجوز كل ما فيه الكسب ولو كان باطلا،
فالشرع صالح في كل زمان ومكان ولن يُصلح آخر هذه الأمة إلاّ ما أصلح أولها،
الحكم الكوني لا أحد يُشرك الله فيه ولا أحد يدعي هذا، هل يستطيع أحد أن يُنزِّل الغيث؟!
وهل يستطيع أحد أن يُمسك السموات والأرض أن تزولا؟!
ولكن الحكم الشرعي هو محل اختلاف البشر ودعوى بعضهم أن لهم أن يشرعوا للناس ما يرون أنه مناسب.

{وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً} الكهف: ٢٧

(وَاتْلُ) يشمل التلاوة اللفظية والتلاوة العملية،
أمّا التلاوة اللفظية فظاهر، تقول: "فلان تلا علي سورة الفاتحة"،
والتلاوة الحكمية العملية أن تعمل بالقرآن، فإذا عملت به فقد تلوتَه أي تَبعتَه،
ولهذا نقول في قوله تعالى:
(إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) (فاطر: الآية ٢٩)
يشمل التلاوة اللفظية والحكمية

{وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً} الكهف: ٢٧

الخطاب في قوله: (وَاتْلُ) للرسول صلى اللّه عليه وسلم،
ولكن اعلم أن الخطاب للرسول صلى اللّه عليه وسلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام:
الأول: ما دلَّ الدليل على أنه خاص به، فهو خاص به.

الثاني: ما دلَّ الدليل أنه للعموم، فهو للعموم.

الثالث: ما يحتمل الأمرين، فقيل: إنه عام، وقيل: إنه خاص،
وتتبعه الأمة لا بمقتضى هذا الخطاب، ولكن بمقتضى أنه أسوتها وقدوتها.

{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} الكهف: ٢٨

في الآية إثبات الوجه للّٰه تعالى،
وقد أجمع علماء أهل السنة على ثبوت الوجه للّٰه تعالى بدلالة الكتاب والسنة على ذلك،
قال اللّٰه تعالى: (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْأَكْرَامِ) (الرحمن: ٢٧).
وقال النبي صلى اللّٰه عليه وسلم: "أعوذ بوجهك"
وأجمع سلف الأمة وأئمتُها على ثبوت الوجه للّٰه عز وجل.

{وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} الكهف: ٢٨

في هذه الآية إشارة إلى أهمية حضور القلب عند ذكر الله،
وأن الإنسان الذي يذكر الله بلسانه لا بقلبه تنْزَع البركة من أعماله وأوقاته
حتى يكون أمره فُرطا عليه،
تجده يبقى الساعات الطويلة ولم يحصل شيئاً،
ولكن لو كان أمره مع الله لحصلت له البركة في جميع أعماله.

{وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً} الكهف: ٤٦

(وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ) هي الأعمال الصالحات من أقوال وأفعال
ومنها سبحانَ اللّه والحمد للّه ولا إله إلا اللّه واللّه أكبر
ولا حول ولا قوة إلا باللّه، ومنها الصدقات والصيام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،
وغير ذلك، هذه الباقيات الصالحات.

{وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} الكهف: ٤٨

(صَفّاً) أي: حال كونهم صفاً

بمعنى صفوفاً، فيحاسبهم اللّه، أما المؤمن فإنه يخلو به وحده ويقرره بذنوبه

ويقول له عملت كذا وعملت كذا، فيقر فيقول له أكرم الأكرمين:

"إني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم"

يغفر اللّه عز وجل له يوم القيامة، ولا يعاقبه عليها وفي الدنيا يسترها، فكم من ذنوب لنا اقترفناها في الخفاء؟

كثيرة، سواء كانت عملية في الجوارح الظاهرة أو عملية من عمل القلوب، فسوء الظن موجود، الحسد موجود،

إرادة السوء للمسلم موجودة، وهو مستور عليه.

وأعمال أخرى من أعمال الجوارح ولكن اللّه يسترها على العبد.

إننا نؤمِّل إن شاء اللّه أن الذي سترها علينا في الدنيا، أن يغفرها لنا في الآخرة.

{وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} الكهف: ٤٩

(وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً) من الصفات المنفية عن اللّه، وأكثر الوارد في الصفات الصفات المثبتة كالحياة والعلم والقدرة.
وأما ذكر الصفات المنفية فقليل بالنسبة للصفات المثبتة، ولا يتم الإيمان بالصفات المنفية إلاّ بأمرين:
الأول نفي الصفة المنفية.
والثاني إثبات كمال ضدها.
فالنفي الذي لم يتضمن كمالاً لا يمكن أن يكون في صفات اللّه. بل لا بد في كل نفي نفاه اللّه عن نفسه
أن يكون متضمناً لإثبات كمال الضد، والنفي إن لم يتضمن كمالاً فقد يكون لعدم قابليته،
أي قابلية الموصوف له، وإذا لم يتضمن كمالاً فقد يكون لعجز الموصوف،
وإذا كان نفياً محضاً فهو عدمٌ لا كمال فيه،
واللّه تعالى له الصفات الكاملة كما قال تعالى: (وللّه المثل الأعلى) (النحل: ٦٠)

{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} الكهف: ٥٠

إذا قال قائل: إن ظاهر القرآن أن إبليس كان من الملائكة؟

فالجواب: لا ، ليس ظاهر القرآن؛ لأنه قال: (إِلَاّ إِبْلِيسَ) ثم ذكر أنه (كَانَ مِنَ الْجِنّ)،
نعم القرآن يدل على أن الأمر توجه إلى إبليس كما قد توجه إلى الملائكة، ولكن لماذا؟
قال العلماء إنه كان - أي: إبليس - يأتي إلى الملائكة ويجتمع إليهم
فوجه الخطاب إلى هذا المجتمع من الملائكة الذين خُلقوا من النور ومن الشيطان الذي خُلق من النار،
فرجع الملائكة إلى أصلهم والشيطان إلى أصله،
وهو الاستكبار والإباء والمجادلة بالباطل لأنه أبى واستكبر وجادل

{فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا} الكهف: ٦١

السرب هو السرداب يعني أنه يشق الماء ولا يتلاءم الماء،
وهذا من آيات اللّه،
وإلا فقد جرت العادة أن الحوت إذا انغمر في البحر يتلاءم البحر عليه،
لكن هذا الحوت من آيات اللّه،
أولاً: أنه قد مات، وأنهما يقتاتان منه، ثم صار حياً ودخل البحر
ثانياً: أنه صار طريقه على هذا الوجه، وهذا من آيات اللّه تبارك وتعالى.

{فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا} الكهف: ٦٢

قوله: (مِنْ سَفَرِنَا هَذَا) ليس المراد من حين ابتداء السفر
ولكن من حين ما فارقا الصخرة، ولذلك طلب الغداء،
قال أهل العلم وهذا من آيات اللّٰه فقد سارا قبل ذلك مسافة طويلة ولم يتعبا،
ولما جاوزا المكان الذي فيه الخضر،
تعبا سريعاً من أجل ألا يتماديا في البعد عن المكان.

{فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا} الكهف: ٦٥

وهو الخضر كما صحَّ ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقوله: (عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا) هل هو عبدٌ من عباد الله الصالحين أو من الأولياء الذين لهم كرامات أم من الأنبياء الموحى إليهم؟

كل ذلك ممكن،

لكن النصوص تدل على أنه ليس برسول ولا نبي،

إنما هو عبد صالح أعطاه الله تعالى كرامات؛

ليبين الله بذلك أن موسى لا يحيط بكل شيء علماً

وأنه يفوته من العلم شيء كثير.

{فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا} الكهف: ٦٥

(وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً) يعني علماً لا يطَّلِع عليه الناس،
وهو علم الغيب في هذه القصة المعينة وليس علم نبوة ولكنه علم خاص؛
لأن هذا العلم الذي اطَّلع عليه الخضر لا يمكن إدراكه وليس شيئاً مبنياً على المحسوس،
فيبنى المستقبل على الحاضر، بل شيء من الغائب،
فأطلعه اللّه تعالى على معلومات لا يطَّلع عليها البشر.

{قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً} الكهف: ٦٦

قال موسى للخضر: هل أتبعك، وهذا عرض لطيف وتواضع، وتأمّل هذا الأدب من موسى - عليه الصلاة والسلام - مع أن موسى أفضل منه وكان عند الله وجيهاً، ومع ذلك يتلطف معه لأنه سوف يأخذ منه علماً لا يعلمه موسى،
وفي هذا دليل أنَّ على طالب العلم أن يتلطف مع شيخه ومع أُستاذه وأن يُعامله بالإكرام،
ثم بين موسى أنه لا يريد أن يَتَّبعَه ليأكل من أكله أو يشرب من شربه،
ولكن (عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً) ولا شك أن الخضر سيفرح بمن يأخذ عنه العلم،
وكل إنسان أعطاه الله علماً ينبغي أن يفرح أن يؤخذ منه هذا العلم،
لأن العلم الذي يُؤخذ من الإنسان في حياته ينتفع به بعد وفاته
كما جاء في الحديث الصحيح:
"إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ صَدَقَةٍ جَارِيَة أَوَ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ".

{قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً} الكهف: ٦٩

هذا الذي قاله موسى قاله فيما يعتقده في نفسه في تلك الساعة
من أنه سيصبر،
لكنه علَّقه بمشيئة الله
لئلَّا يكون ذلك اعتزازاً بنفسه وإعجاباً بها.

{قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا} الكهف: ٧٥

قوله تعالى: (أَلَمْ أَقُلْ لَكَ) هنا فيها لوم أشد على موسى،
في الأولى قال: (أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ) وفي الثانية قال: (أَلَمْ أَقُلْ لَكَ) يعني كأنك لم تفهم ولن تفهم،
ولذلك كان الناس يفرقون بين الجملتين،
فلو أنك كلمت شخصاً بشيء وخالفك فتقول في الأول: "ألم أقل إنك"،
وفي الثاني تقول: "ألم أقل لك" يعني أن الخطاب ورد عليك وروداً لا خفاء فيه،
ومع ذلك خالفت، فكان قول الخضر لموسى في الثانية أشد: (أَلَمْ أَقُلْ لَكَ)

{أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً} الكهف: ٧٩

صار فعل الخضر من باب دفع أشد الضررين بأخفهما ،
ومنه يؤخذ فائدة عظيمة وهي إتلاف بعض الشيء
لإصلاح باقيه، والأطباء يعملون به، تجده يأخذ من الفخذ قطعة
فيصلح بها عيباً في الوجه، أو في الرأس، أو ما شابه ذلك، وأخذ منه العلماء - رحمهم اللّه - أن الوقف إذا دَمَر وخرب
فلا بأس أن يباع بعضه ويصرف ثمنه في إصلاح باقيه

{حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْراً} الكهف: ٩٠

عمارة الأرض تكون نحو المشرق والمغرب، ولذلك قال النبي صلى اللّه عليه وسلم:
"إن اللّه زَوَى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها"
دون الشمال والجنوب لأن الشمال والجنوب أقصاه من الشمال،
وأقصاه من الجنوب كله ثلج ليس فيه سكان،
فالسكان يتبعون الشمس من المشرق إلى المغرب،
أو من المغرب إلى المشرق.

{حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا} الكهف: ٩٣

(لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً) فيها قراءتان: "لَاّ يَكَادُونَ يُفْقِهُونَ قَوْلاً"
و"لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً" والفرق بينهما ظاهر:
لا (يَفْقَهُونَ) يعني هم،
لا "يُفْقِهُونَ" أي: غيرهم،
يعني هم لا يعرفون لغةَ الناس، والناس لا يعرفون لغتهم،
هذه فائدة القراءتين، وكلتاهما صحيحة، وكل واحدة تحمل معنىً غير معنى القراءة الأخرى،
لكن بازدواجهما نعرف أن هؤلاء القوم لا يعرفون لغة الناس، والناس لا يعرفون لغتهم.

{قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا } الكهف: ٩٤

بهذا نعرف خطأ من قال: إنهم ليسوا على شكل الآدميين وأن بعضهم في غاية ما يكون من القِصَر،
وبعضهم في غاية ما يكون من الطول، وأن بعضهم له أذن يفترشها، وأذن يلتحف بها وما أشبهَ ذلك،
كل هذا من خرافات بني إسرائيل، ولا يجوز أن نصدقه،
بل يقال: إنهم من بني آدم، لكن قد يختلفون كما يختلف الناس في البيئات،
فتجد أهل خط الاستواء بيئتهم غير بيئة الشماليين، فكل له بيئة،
الشرقيون الآن يختلفون عن أهل وسط الكرة الأرضية،
فهذا ربما يختلفون فيه، أما أن يختلفوا اختلافاً فادحاً كما يذكر،
فهذا ليس بصحيح.

{آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا ۖ} الكهف: ٩٦

الزُّبَر يعني القطع من الحديد ،
فجمعوا الحديد وجعلوه يساوي الجبال،
وهذا يدل على القوة العظيمة في ذلك الوقت،
يعني أرتال من الحديد ، تجمع حتى تساوي الجبال الشاهقة العظيمة.

{قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً} الكهف: ٩٨

قالها ذو القرنين وانظر إلى عباد الله الصالحين، كيف لا يسندون ما يعملونه إلى أنفسهم،
ولكنهم يسندونه إلى الله عز وجل وإلى فضله، ولهذا لما قالت النملة حين أقبل سليمان بجنوده على وادي النمل،
قامت خطيبة فصيحة:
(يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يشعرون (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) (النمل: ١٩،
أيضاً ذو القرنين رحمه الله قال:
(هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي)
وليس بحولي ولا قوتي، ولكنه رحمة به ورحمة بالذين طلبوا منه السد، أن حصل هذا الردم المنيع

{قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً} الكهف: ٩٨

(وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً) فما هو هذا الوعد؟

الجواب: الوعد هو أن اللّه سبحانه وتعالى يخرجهم في آخر الزمان، وذلك بعد خروج الدجال وقتله يخرج اللّه هؤلاء، يخرجهم في عالم كثير مثل الجراد أو أكثر "فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ" ثم "يُحصرُ نَبِيُّ اللّه عيسى وَأَصْحَابُهُ" في جبل الطور، ويلحقهم مشقة ويرغبون إلى اللّه تعالى في هلاك هؤلاء، "فَيُرْسِلُ اللّهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ" يصبحون في ليلة واحدة على كثرتهم، ميتين ميتة رجل واحد، حتى تنتن الأرض من رائحتهم،
فيرسل اللّه تعالى أمطاراً تحملهم إلى البحر أو يرسل اللّهُ طيوراً فتَحْمِلُهُمْ إلى البحر واللّه على كل شيء قدير،
وهذه الأشياء نؤمن بها كما أخبر بها النبي صلى اللّه عليه وسلم،
أما كيف تصل الحال إلى ذلك، فهذا أمره إلى اللّه عز وجل

{وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا} الكهف: ٩٩

ينفخ في الصور نفختين. الأولى: فَزَعٌ وصعق، ولا يمكن الآن أن ندرك عظمة هذا النفخ، نفخ تفزع الخلائق منه وتصعق بعد ذلك، كلهم يموتون إلاّ من شاء اللّه، لشدة هذا النفخ وشدة وقعه، ما يمكن أن نتصور لأن الناس يفزعون، بل فزع من في السموات ومن في الأرض ثم يصعقون - اللّه أكبر -. شيء عظيم كلما يتصوره الإنسان، يقشعر جلده من عظمته وهوله.

النفخة الثانية: يقول اللّه عز وجل: (فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) (الزمر: ٦٨).
النفخة الثانية يقوم الناس من قبورهم أحياء ينظرون، ماذا حدث؟! لأن الأجسام في القبور،
يُنْزِل اللّه تعالى عليها مطراً عظيماً ثم تنمو في داخل الأرض
حتى إذا تكاملت الأجسام تكاملها التام نفخ في الصور نفخة البعث:
(فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) (الزمر: الآية ٦٨).

{قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً} الكهف: ١٠٩

كلمات الله عز وجل كونية، وشرعية، أما الشرعية فهو ما أوحاه إلى رسله،
وأما الكونية فهي ما قضى به قدره) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (يس: ٨٢)،
وكل شيء بإرادته، إذاً فهو يقول لكل شيء (كُنْ فَيَكُونُ)،
ومن الكلمات الشرعية ما أوحاه عز وجل إلى من دون الرسل، كالكلمات التي أوحاها إلى آدم،
فإن آدم عليه الصلاة والسلام، نبي وليس برسول، وقد أمره الله ونهاه، والأمر والنهي كلمات شرعية

{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} الكهف: ١١٠

(إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ) وذكر المثلية لتحقيق البشرية، أي: أنه بشر لا يتعدى البشرية، ولذلك كان - عليه الصلاة والسلام - يغضب كما يغضَب الناس، وكان صلى الله عليه وسلم يمرض كما يمرض الناس، وكان يجوع كما يجوع الناس، وكان يعطش كما يعطش الناس، وكان يتوقى الحر كما يتوقاها الناس، وكان يتوقى سهام القتال كما يتوقاها الناس، وكان ينسى كما ينسى الناس، كل الطبيعة البشرية ثابتة للرسول - عليه الصلاة والسلام - وكان له ظِلٌ كما يكون للناس.

أمّا من زعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم نُورَاني، ليس له ظل فهذا كذب بلا شك، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم كغيره من البشر له ظل ويستظل أيضاً، ولو كان الرسول صلى الله عليه وسلم ليس له ظل، لنقل هذا نقلاً متواتراً؛ لأنه من آيات الله عز وجل إذاً الرسول صلى الله عليه وسلم بشر مثل الناس

انتهى بحمد اللّٰه وفضله جمع بعض الفوائد
من تفسير سورة
(الكهف)

نسأل اللّٰه تعالى أن يجعلها
نافعة لعباده مقربة لمرضاته
إنه وليّ ذلك والقادر عليه

تويتر
@fwayidd1